مجلة الرائد

العدد :٢٠٣ الموافق في جمادى الأخرة ١٤١٩ هجري ١٠/١٩٩٨ ميلادي

عنوان المقال : { بل أنتم بشر ممن خلق }	بقلم : أبو إلياس

من المظاهر السلوكية الخطيرة التي يمكن ملاحظتها باستمرار في صفوفنا نحن المسلمين ، خاصتنا وعامتنا ، أفراداً وجماعات ، رجالاً ونساءً ، هو ذلك النوع من اللامبالاة ، والإحساس باستعلاء باد أو خفي ، وحصول اقتناع ظاهر أو مضمر داخل النفس بأننا لسنا معنيين حين ينادي فينا منادٍ للقيام بواجب من الواجبات أو يذكرنا خطيب جمعة بخلق نبيل من باب : { **فذكر إنما أنت مذكر** } أو يدعونا مفكر آتاه الله تعالى بَسطة في العلم والفهم ، للنظر في ما آل إليه وضع الإسلام والمسلمين في هذا العصر من أجل صحوة إسلامية راشدة وخطاب إسلامي معاصر جدير برفع تحديات العصر الذي نعيشه . بل إن ثقافة الاستعلاء هذه - بالمعنى المذكور أعلاه - لتطال حتى نداء رب العالمين وتوجيهات نبينا الكريم .

وتعالوا أيها الإخوة نمتحن أنفسنا ونستمع لهذه النداءات لننظر إلى أي حد نشعر يقيناً - حين سماعها أو قراءتها - أننا نحن معنيون بها قبل غيرنا :

{ **يا أيها الذي آمنوا أنفقوا مما رزقناكم** } [البقرة:٢٥٤].

{ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** }[البقرة:٢٦٤].

{ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** } [الحجرات:١٧]

{ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا** } [آل عمران:٢٠٠]

{ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** } [النساء:٢٩].

{ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** } [النساء:١٣٣].

{ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله** } [النساء:١٣٥].

{ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** } [المائدة:١]

{ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم** }[المائدة:١٠١]

{ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** }[الأنفال:٢٧]

{ **يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له** } [الحج:٧٣]

{ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا** } [الأحزاب:٦٩].

مجلة الرائد

العدد :٢٠٣ الموافق في جمادى الأخرة ١٤١٩ هجري ١٠/١٩٩٨ ميلادي

عنوان المقال : { بل أنتم بشر ممن خلق }	بقلم : أبو إلياس

{ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً** } [الأحزاب:٧٠].

{ **يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا** } [فاطر:٥].

{ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن** } [الحجرات:١٢].

{ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** }[يس:٥٩].

{ **زُين له سوء عمله فرآه حسناً** } [فاطر:٨].

{ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون** }[البقرة:٢٦٤].

{ **وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** } [الزخرف:٣٧].

{ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم** } [آل عمران:١٨٠].

{ **أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** } [الأعراف:٩٨].

{ **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** } [الأعراف:١٤٥].

{ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** } [الكهف:١٠٢].

إن عدم شعور الواحد منا بأنه هو المقصود بهذه النداءات والتلميحات - وبغيرها من كتاب الله عز وجل - وأنه في درجة من النقاء والتقى والصلاح والصواب والورع والتضحية بحيث أنه فوق أن يُذكّر ويُنصح ويُنتقد ، إن هذا كله نوع من الكبر الذي نجد جذوره ضاربة في أعماق التاريخ ليصل إلى ملأ الملائكة حين أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم ، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذي رأى نفسه أنه فوق أن يكون من المعنيين بالسجود ، وكيف يسجد لآدم الذي خلق من تراب ، وهو قد خلق من طينة أخرى ؛ هي النار : { **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ❋ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** }[الأعراف:١١-١٢].

إن لَيَّ الأعناق ، وغلق القلوب والأفئدة ، ووضع الغشاوات على الأعين ، والأوقار في الآذان ، وعدم الإنصات لنداء رب العالمين ولنداء رسوله الكريم ، ولنداءات علمائنا ومفكرينا المخلصين ،

لشعور في النفس بخيرية وأفضلية وامتياز ما ، ورفع الذات فوق البشر وفوق الأمة ، افتخار ومذهب إبليسيان نعوذ بالله منهما .

ولعل من المناسب أن نذكر في هذا المقام صنفاً آخر من الخلق لمح الله إليهم أنهم كانوا يرون أنفسهم فوق البشر ، وهم اليهود والنصارى : { **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق** } [المائدة:١٧].

{ **بل أنتم بشر ممن خلق** } هكذا كان الرد على الذين ادعوا بنوة الله ومحبته لأنفسهم .

{ **بل أنتم بشر** } تخضعون للسنة البشرية التي لا تحابي أحداً . ويعلق الأستاذ " جودت سعيد " على هذه الآية فيقول : " إننا لا نزال ندعي أن غيرنا لا يمكن أن يدخل الجنة ، وأن الآخرين ليسوا على شيء ، ونبيع الجنة ونتوزعها فيما بيننا فقط ، وإن كنا نسخر من الذين باعوها من قبلنا ، فمن ذا الذي سيكتب في معنى : { **بل أنتم بشر** } ؟ ومن ذا الذي سيفهم معنى : { **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به** }[النساء:١٢٣] " [جودت سعيد ، كن كابن آدم ، ص ٧٣ ، دار الفكر ١٩٩٧] .

إن الحسن البصري رحمه الله تعالى لما سمع قوله تعالى : { **أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** } [الأعراف:٩٨]. لم يعتبر - رحمه الله - نفسه خارج دائرة المشار إليهم في الآية ، ولم يغرّه صلاحه وورعه أن يقصي نفسه من دائرة البشر ، بل قال : " المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن ".

أن يكبر الواحد منا في عين الآخرين ويحظى بالتقدير والاحترام والإعجاب ، لخلقه وجهاده وتواضعه وعلمه وذكائه وغير ذلك من الصفات والسجايا ، هذا شيء ، وأن يكبر في عين ذاته شيء آخر . إن الجانب الثاني من الإعجاب هو المذموم وهو المقصود في كلامنا ، أما الجانب الأول فهبة ومكافأة من الله عز وجل ، مصداقاً لمثل قوله ﷺ : « **من تواضع لله رفعه** » .

مجلة الرائد

العدد :٢٠٣ الموافق في جمادى الأخرة ١٤١٩ هجري ١٠/١٩٩٨ ميلادي

عنوان المقال : { بل أنتم بشر ممن خلق }	بقلم : أبو إلياس

إن رفع النفس فوق مستواها البشري وسدّ منافذ الفهم والتزكية عليها ، لشعور في النفس بالكمال ، نوع من الكبر الذي مثقال ذرة منه تمنع الإنسان من الدخول إلى الجنة : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر** » [رواه مسلم] . إن الكبر جرثوم خبيث يحول الإنسان المكرم إلى محروم ومطرود من رحمة الله ، وفي جملة الصاغرين : { **فاخرج منها فإنك رجيم ❋ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين** }[الحجر:٣٥-٣٦] . ولا عجب في ذلك ؛ فالكبرياء رداء ذي الجلال ، من حاول أن يتقمصه أخرج من رحمة الله مدحوراً .

إن الذي لم يتطهر من كبر " أنا فوق البشر ، أنا لست مثل الناس ، أنا من طينة أخرى غير طينة التراب " لا يمكن أن يكون عبداً لله ولا جندياً له ولا عنصر بناء لمستقبل أفضل للإسلام والمسلمين والإنسانية.